الكفاح الفلسطيني وعلاقات اسرائيل الدولية

الدكتور محمد الحلاج

عندما صوتت الجمعية العمومية للامم المتحدة على ادراج القضية الفلسطينية في جدول اعمالها للدورة الحالية ، لم تجد اسرائيل من بين المئة وثمانية وثلاثين عضوا في المنظمة الدولية سوى ثلاث دول تؤيدها . ولما اقرت للشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره والسيادة على أرضه والنضال من اجل ذلك الحق ، لم تجد اسرائيل سوى سبع دول تعارض معها اقرار توصية أسقطت أي ذكر لاسرائيل وحقها في الوجود . ولم تكن هذه الاحداث سوى رمزا لدرجة العزلة الخانقة التي أصبحت الدولة الصهيونية تحياها على المسرح الدولي وانعكاسا لمدى التدهور الذي انتاب علاقاتها الدولية .

لا شك أن انهيار مكانة اسرائيل في المجتمع الدولي ، والذي يتمثل في عزلتها المتزايدة ، جاء نتيجة لعدد من العوامل منها جشعها الذي ساقها الى حروب عدوانية توسعية متكررة ، وتصحيح التشويه الذي كان يسود المجتمع الدولي نتيجة لغياب اكثر شعوب الارض عن المسرح العالمي ، وتجاهل اسرائيل المستمر لنداءات الرأي العام العالمي . لكن فشل سياسة اسرائيل الخارجية جاء بشكل أساسي نتيجة لانهيار الدعامتين الرئيسيتين اللتين ارتكز عليهما نجاحها في الماضي ، وهما تحالفها مع الاستعمار وقدرتها على اخفاء ضحيتها .

وكان للكفاح الفلسطيني المسلح دور رئيسي في تقويض هذه الاسس التي قامت عليها الدبلوماسية الصهيونية . فقد ساهم في حرمان الصهيونية من الاستمرار في التمتع بخيرات تحالفها مع الاستعمار دون تحمل اعبائه ، وكان وحده قادرا على الكشف عن أن للصهيونية ضحية بريئة . وما حياة المنبوذ التي تحياها اسرائيل اليوم سوى الدليل على ان الثائر الفلسطيني افلح في اجتياز هذا الشوط من مسيرته .

ولدت الحركة الصهيونية في الوقت الذي وصلت فيه الامبريالية أوج قوتها . وأدركت الحركة منذ البداية انها لن تصل الشواطىء الفلسطينية الا على ظهر الموجة الامبريالية . كما ادركت الامبريالية امكانية استغلال الصهيونية كمبرر لفرض سلطانها على فلسطين(١) . وكان هذا التوافق المصلحي بين الصهيونية والاستعمار أساس التحالف بينهما الذي ولد وعد بلفور عام ١٩١٧ وكل ما لحقه من دعم امبريالي للصهيونية واسرائيل . أي أن النجاح الدبلوماسي الذي حققته الصهيونية جاء نتيجة المد الامبريالي الذي اعطاها مظهر الشرعية المستمد من القبول الدولي ، ووفر لها الحماية في عصر ضعفها وطفولتها .

وكما استخدم الاستعمار الصهيونية لتبرير استيلائه على فلسطين ، استخدمها عند اضطراره الخروج منها . فعندما بدأ الاستعمار يترنح تحت ضربات الحرب العالمية الثانية والثورات التحررية لجأ ثانية الى الحركة الصهيونية فأقام لها دولة